الشعور

رؤية قرآنية

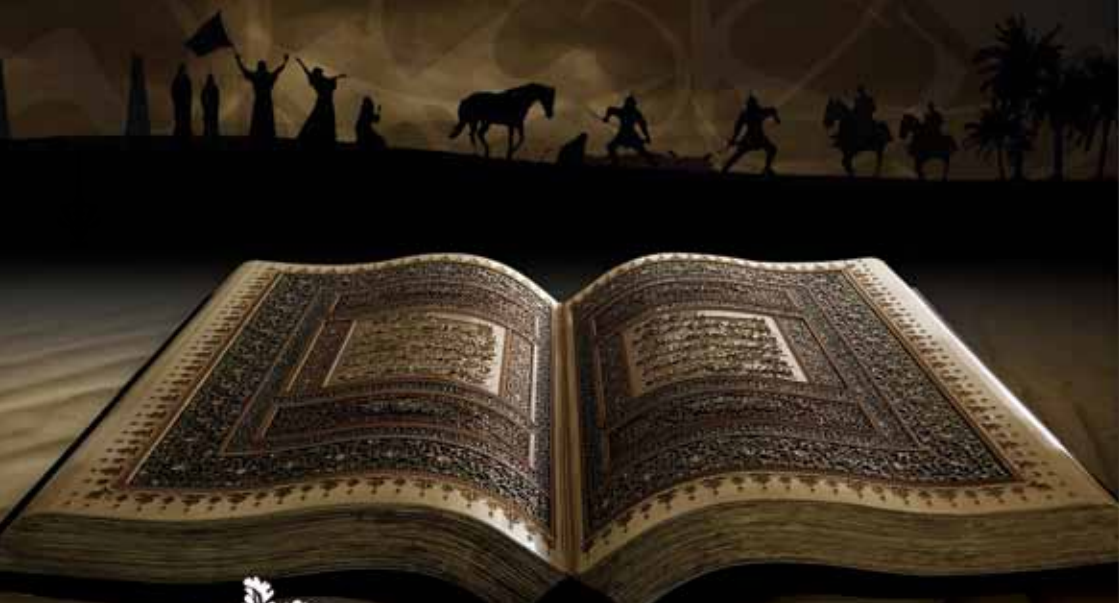

١٩
الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية

الشورى

رؤية قرآنية

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

من مميزات الدين الإسلامي أن يرتبط الإنسان المسلم بظواهر الطبيعة فعندما تزول الشمس وهي ظاهرة طبيعية متكررة يومياً فعلى الإنسان المسلم أن يصلي فهذا وقت صلاة الظهر، وعندما تغرب الشمس. وهي تغرب يومياً. هناك موعد آخر لصلاة أخرى وبين الطلوعين. طلوع الفجر. وطلوع الشمس هناك موعد ثالث للقاء مع الله سبحانه، هذا على مستوى اليوم الواحد.

وهناك ارتباط على مستوى أشهر السنة، فهلال شهر رمضان يقول صوموا وهلال شهر شوال يقول اتركوا الصيام وعيّدوا وهلال شهر ذي الحجة، يوجب على المسلم المستطيع أن يؤدي فريضة الحج، وأما إذا جئنا إلى مناسبات وولادات واستشهاد الائمة عليهم السلام فلا يكاد يخلو شهر من أشهر السنة من مناسبة أو أكثر تشدُ الإنسان المسلم إلى أئمته وتكون محطة للتزود ورفعاً لشعار إسلامي وإعلاناً للمحبة التي جعلها الله أجراً للرسالة الإلهية.

ومع بداية شهر محرم الحرام يحتفل البعض بالهجرة النبوية الشريفة ويتبادل التهاني بهذه المناسبة رغم أن الهجرة النبوية لم تحدث في محرم الحرام بل حدثت في شهر ربيع الأول.

وما حدث في شهر محرم الحرام وبقي متقداً إلى يومنا هذا وسيقى متقدا إلى يوم يبعثون شهادة سيد شباب أهل ا لجنة عليه السلام سنة ٦١ هـ وهي مناسبة لإظهار الولاء لأولياء الله والبراءة من اعدائه وتعظيم لشعائر الله، فهناك مفردات كثيرة نعيشها في أجواء عاشوراء مثل قتل المؤمن، الظلم، نقض العهود، الشهادة، الاستبسال في سبيل الله والبكاء ولعن القتلة الظالمين و و ....

مفردات كثيرة سنحاول في هذا البحث أن نقرأ بعض هذه المفردات العاشورائية قرآنياً وبسنة النبي صلى الله عليه وآله لنثبت أن عاشوراء لا تفارق القرآن بعدما ثبت في الحديث النبوي. وهو وحي يوحى. أن العترة الطاهرة لا تفارق القرآن والقرآن لا يفارقها والحسين عليه السلام هو خامس أهل الكساء وهو أبو بقية الاثني عشر، وهذا جزء من العطاء الإلهي جزاءً لثورة الحسين عليه السلام وا لجزء الثاني الشفاء في تربته وا لجزء الثالث الدعاء مستجاب تحت قبته.

القتل

بعدما يقص القرآن الكريم أول جريمة قتل على وجه الارض يقول ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (١)

فقتل أي نفس من نفوس البشر بغض النظر عن مكانة صاحبها عند الله سبحانه وتعالى، يعني قتل الناس جميعا لا نفسا واحدة إلا اذا كان لسببين، الأول القصاص من القاتل أي قتل نفس مقابل أخرى، والثاني الفساد في الارض الذي يوجب هدر الدم كالردة وزنا المحصن، فإن من يستبيح هدر دم صانه الله سبحانه لإنسان واحد يستبيح قتل النوع الإنساني كله أو لأنه سن القتل وأفشى العداء العام وبث البغضاء في الأمة التي من المفروض أن تكون أمة واحدة، وقد سُئل الإمام الباقر عليه السلام عن هذه الآية فقال «له في النار مقعد لو قتل الناس جميعاً لم يرد إلاّ ذلك المقعد» (٢) و «يوضع في موضع من جهنم اليه ينتهي شدة عذاب أهلها لو قتل الناس جميعاً يدخل ذلك المكان قلت فإن قتل آخر؟ قال يضاعف عليه» (٣) ولذلك عد القتل من الكبائر في موارد كثيرة وقُرن بالشرك بالله وبعقوق الوالدين وقتل الأولاد خشية الفقر والقرب من الفواحش الظاهرة والباطنة ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٤) والاستثناء الوارد في الآية الكريمة «إلا بالحق» هو نفس ما ورد في الآية السابقة «بغير نفس أو فساد في الارض» وصفة

(١) . سورة المائدة /آية ٣٢.
(٢) .وسائل الشيعة / ٢٩ ـ ١٠.
(٣) . وسائل الشيعة / ٢٩ ـ ١٠.
(٤) . سورة الأنعام / آية ١٥١.

واضحة من صفات عباد الرحمن يذكرها القرآن بعد الشرك بالله سبحانه وبين كبيرة من الكبائر وهي الزنا ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ولا يزنون﴾ [1] فقتل النفس البشرية محرم من المحرمات بل من أشد المحرمات فعباد الرحمن لا يفعلون هذا الفعل المحرم. أما من يفعل ذلك فهو بعيد عن دائرة «عباد الرحمن» بل هو قريب من الخلود في جهنم والغضب واللعنة الإلهية والعذاب العظيم ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [2] فهناك اربع جزاءات أشارت اليها الآية الكريمة:

١. دخول جهنم دون خروج منها «خالداً فيها».

٢. استحقاق الغضب الإلهي «غضب الله عليه».

٣. استحقاق الطرد من الرحمة الإلهية «ولَعنهُ».

٤. تعرضه للعذاب العظيم.

وقد فسر إمامنا الصادق عليه السلام هذا القتل المتعمد بـ«من قتل مؤمناً على دينه فذلك المتعمد الذي قال الله عز وجل في كتابه «وأعد له عذاباً عظيماً» قلت فالرجل يقع بينه وبين الرجل شيء فيضربه بسيفه فيقتله قال «ليس هذا من المتعمد الذي قال الله عز وجل» [3] وهذا يعني أن هذه الآثار الأخروية الأربعة تترتب على من قتل مؤمناً بسبب إيمانه لا لشيء آخر وبتعبير القرآن الكريم

---

(١) . سورة الفرقان / آية ٦٨.
(٢) . سورة النساء / آية ٩٣.
(٣) . البرهان ج٢/ ص ١٥٠.

إن القتلة لا يجدون سبباً لقتل المؤمن إلا إيمانه ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [1] . ومن الآثار الورادة في السنة الشريفة لهذا القتل أن القاتل لا توبة له.

وقد أقام سيد الشهداء عليه السلام الحجة البالغة على قتلته يوم عاشوراء فبعد أن طلب منهم أن ينسبوه وينظروا ويرجعوا إلى أنفسهم ويعاتبوها وهل يصلح قتله وانتهاك حرمته؟ وبعد مسألتهم ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين به وبعمه الحمزة وبعمه جعفر الطيار واستشهدهم على حديث «سيدا شباب اهل ا لجنة» وأرجعهم إن لم يصدقّوا به. وهو الصادق. أرجعهم إلى بقية الصحابة الصادقين ممن سمع هذا الحديث ورواه وفي هذا الحديث حاجز وحاجب عن قتله بعد أن يعرف الإنسان أنه سيد شباب أهل ا لجنة وبلغ القمة في إقامة الحجة عندما قال لهم بعد ذلك «فإن كنتم في شك من هذا أفتشكون فيّ أني ابن بنت نبيكم فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم ويحكم اتطلبوني بقتيل منكم قتلته أو مال لكم استهلكته أو بقصاص من جراحة» [2] وبهذا الكلام يكون سيد الشهداء قد سد كل باب للعذر وأقام حجة واضحة بيّنة جلية، فلم يبقِ حجة لأحد ولا عذراً لمعتذر ولم يبقِ إلا القتل بالظلم ومواجهته ببسالة أو الاستسلام المذل وقد اعلنها عليه السلام مدوية «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم اقرار العبيد يأبى الله ذلك لنا ورسوله صلى الله عليه وآله وحجور طابت وطهرت فلا نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام» [3] فيتبين من ذلك أن أولئك القتلة

(١) .سورة البروج / آية ٨.
(٢) . لواعج الاشجان ١٢٩.
(٣) . نهضة الحسين / ١٤٠.

جهنميون مغضوب عليهم ❖ ❖ ❖ وملعونون بل اللعنة تشمل.

«وفق قانون إلهي» . الراضي بفعل قوم مشارك لهم. فنقرأ «فلعن الله أمةً قتلتك ولعن الله أمة ظلمتك ولعن الله أمةً سمعت بذلك فرضيت به»[1] ومن العجيب أن يدعو أحد مشايخ الفضائيات لأن نستغفر لهؤلاء بدعوى أن ذلك مصداق للآية الكريمة ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2]، والآية الكريمة تحث الأجيال اللاحقة من المؤمنين على الاستغفار للأجيال السابقة من المؤمنين ولا علاقة لها بطلب المغفرة لمن نص القرآن على لعنهم واستحقاقهم للغضب والعذاب الإلهي، وقبله ذكر شيخه الذهبي قائلاً: «عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري هو في نفسه غير متهم لكنه باشر قتال الحسين وفعل الأفاعيل، روى شعبة عن أبي إسحاق عن العيزار بن حريث عن عمر بن سعد فقام إليه رجل فقال أما تخاف الله؟ تروي عن عمر بن سعد، فبكى وقال: لا أعود، وقال العجلي: روى عنه الناس، تابعي ثقة. وقال أحمد بن زهير: سألت ابن معين أعمر بن سعد ثقة؟ فقال: كيف يكون من قتل الحسين ثقة»[3] فترى أن بعض الأعلام يرون أن مقتل الحسين عليه السلام لا يؤثر بوثاقة قائد الجيش الذي قتل الحسين عليه السلام وقد هون الشيخ ابن تيمية فعل عمر بن سعد وجعل له أمثالاً كثيرة في المسلمين «فهو ليس بدعاً من المسلمين» بقوله: «غاية عمر بن سعد وأمثاله أن يعترف بأنه طلب الدنيا بمعصية يعترف أنها معصية وهذا ذنب كثير وقوعه من المسلمين»[4] وقد روى جميع المسلمين أن

---

(١) . مزار الشهيد الأول/ ١٢٥.

(٢) . سورة الحشر/ آية ١٠.

(٣) . ميزان الاعتدال للذهبي ٣/ ١٨٩.

(٤) .منهاج السنة / ٢ / ٦٨.

الرسول الأكرم ﷺ قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام «أنا حرب لمن حاربكم سلم لمن سالمكم»[1] وبضم هذا الحديث إلى تلك الآراء سنحصل على نتيجة هي « فلان ثقة في نفسه غير متهم وإن كان قد حارب رسول الله ﷺ والقرآن يقول بوضوح ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2]

والأعجب رأي ابن تيمية في يزيد «إنه كان ملكاً من ملوك المسلمين له حسنات وله سيئات والقول فيه كالقول في أمثاله من الملوك لا نحبه ولا نسبّه وهو أول من غزا قسطنطينية وقال رسول الله ﷺ:«أول جيش يغزوها يُغفر لهم»[3] وعلى هذا فأن يزيد مغفور له مع اعترافه بإباحة يزيد للمدينة المنورة. ولم يفهم علماء المسلمين الذين اعترفوا بصحة هذا الحديث دخول يزيد فيهم فهذا المنّاوي يقول: «لا يلزم منه كون يزيد بن معاوية مغفوراً له لكونه منهم إذ الغفران مشروط بكون الإنسان من أهل المغفرة، ويزيد ليس كذلك لخروجه بدليل خاص»[4] وقال ابن التين وابن المنير رداً على ادعاء المهلب. وهو نفس ادعاء ابن تيمية: «انه لا يلزم من دخوله في ذلك العموم أن لا يخرج بدليل خاص إذ لا يختلف أهل العلم أن قوله ﷺ مغفور لهم مشروط بأن يكونوا من أهل المغفرة حتى لو ارتد واحد ممن غزاها بعد ذلك لم يدخل في ذلك العموم اتفاقاً فدل على أن المراد مغفور لمن وجد شرط المغفرة فيه منهم» [5]

بل استدل الآلوسي بقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي

(١) . المعجم الصغير للطبراني ٢/ ٤٠٨.
(٢) . الأنفال / آية ١٣.
(٣) . الفتاوي المصرية ١/ ٢٠١.
(٤) . فيض القدير شرح الجامع الصغير - محمد رؤوف المناوي/ ٣/ ١٨٤.
(٥) . فتح الباري- لابن حجر العسقلاني ٦/ ٤٤٣.

الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [1] على جواز لعن يزيد فقال: «واستدل بها على جواز لعن يزيد عليه من الله تعالى ما يستحق، نقل البرزنجي في الإشاعة والهيثمي في الصواعق إن الإمام أحمد لما سأله ولده عبد الله عن لعن يزيد، قال: كيف لا يلعن من لعنه الله في كتابه، فقال عبد الله: قد قرأت كتاب الله عز وجل فلم أجد فيه لعن يزيد فقال الإمام: إن الله تعالى يقول: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُم ۝ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ» وأي فساد وقطيعة أشد مما فعله يزيد»[2]

فيزيد عند هؤلاء الأعلام بل عند إمام الحنابلة، مصداق لهذه الآية ويفتون بجواز لعنه وإذا رجعنا إلى كتب ابن تيمية نجده يقول: «الذي عليه معتقد أهل السنة وأئمة الأمة إنه لا يُسب ولا يُحب، قال صالح بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي إن قوماً يقولون إنهم يحبون يزيد، قال: يا بني وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر؟!، فقلت: يا أبتِ فلماذا لا تلعنه؟ قال: يا بني ومتى رأيت أباك يعلن أحداً، وروى عنه قيل له: أتكتب الحديث عن يزيد بن معاوية؟ فقال: لا ولا كرامة، أوليس هو الذي فعل بأهل المدينة ما فعل؟!»[3] ولا ندري هل اختلف جواب أحمد بن حنبل عن سؤال واحد لاختلاف السائل فعندما يكون السائل ابنه عبد الله فالفتوى جواز اللعن ويستدل عليها بالآية الكريمة عندما يكون السائل ولده صالح تكون الفتوى هو التوقف لأنه لا يلعن أحداً ونحن نسأل لايلعن أحداً حتى لو استحق اللعن وذلك لأن الله سبحانه لعن عنواناً معيناً وهو تلبس في ذلك العنوان.

---

(١) . سورة محمد / آية ٢٢.
(٢) . روح المعاني / ١٦ـ ١٥١.
(٣) .مجموع الفتاوي/ ٣ـ ٤١٢.

ونحن لا نعقل ولا ندري كيف يكون موقف ابن تيمية التوقف من رجل ثبت له بالحديث الصحيح أنه مغفور له بل عده من الاثني عشر الذين بشر الله بهم رسول الله ﷺ وقبله التوراة بشرت بهم، وبهم عز الإسلام ومنعته فقال: «ولفظ البخاري اثني عشر أميراً وفي لفظ لا يزال أمر الناس ماضياً ولهم اثنا عشر رجلاً وفي لفظ لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش فكان الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ثم تولى من اجتمع الناس عليه وصار له عزة ومنعة معاوية وابنه يزيد ثم عبد الملك وأولاده الاربعة وبينهم عمر بن عبد العزيز وبعد ذلك حصل في دولة الإسلام من النقص ما هو باقٍ إلى الأن» [1] والعجب كل العجب من الشيخ كيف لا يحبه وفي ملكه عزة ومنعة للإسلام؟ والأعجب من ذلك أن تكون عزة الإسلام ومنعته على يد من أمر بقتل الحسين عليه السلام وإن كان الشيخ لا يرى أنه أمر بذلك أو رضى عنه لكنه لم يعاقب قاتليه لكنه يعترف بأن يزيد «قد أتى أموراً منكرة منها وقعة الحرة وقد جاء في الصحيح عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال المدينة حرم ما بين عاثر إلى كذا من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً» [2] ونسأل هذه المرة كيف لا يلعن من ينطبق عليه هذا الحديث الصحيح بعد أن شخّص نفس الشيخ أن يزيد فعل هذا المنكر في مدينة رسول الله ﷺ ومن فعل ذلك فعليه لعنة الله والذي يفعل شيئاً يستحق عليه اللعنة يمكن أن يفعل مثله وخاصة أن المؤرخين عندما يصفون يزيد يصفونه بـ«صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب وغَلبَ على أصحاب يزيد وعماله

(١) . منهاج السنة/ ٢٤١.
(٢) . رأس الحسين / ٢٠٦.

ما كان يفعله من الفسوق وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهي وأظهر الناس شرب الشراب»[1] وإذا أردنا أن ننقل ما رواه المؤرخون لطال الحديث ونذكر رأياً لعلم من أعلام المسلمين «الذهبي وهو من تلامذة ابن تيمية» عندما يترجم يزيد فيقول: «كان ناصبياً فضاً غليظاً جلفاً يتناول المسكر ويفعل المنكر افتتح دولته بقتل الشهيد الحسين واختتمها بواقعة الحرة فمقته الناس ولم يبارك في عمره» [2].

ورأي آخر لتلميذ آخر من هذه المدرسة وهو ابن كثير يقول: «وقد أخطأ يزيد خطأً فاحشاً في قوله لمسلم بن عقبة أن يبيح المدينة ثلاثة أيام وهذا خطأٌ كبيرٌ فاحشٌ مع ما انضم إلى ذلك من قتل خلق من الصحابة وأبنائهم وقد تقدم أنه قتل الحسين وأصحابه على يد عبيد الله بن زياد وقد وقع في هذه الثلاثة أيام من المفاسد العظيمة في المدينة النبوية ما لا يحد ولا يوصف مما لا يعلمه إلا الله عز وجل» [3]، أما رأي باقي المدارس الإسلامية فيمثلها التفتازاني بقوله: «اتفقوا على جواز اللعن على من قتل الحسين أو أمر به أو أجازه أو رضي به قال والحق أن رضا يزيد بقتل الحسين واستبشاره بذلك وإهانة أهل بيت رسول الله ﷺ مما تواتر معناه وإن كان تفصيله آحاداً قال فنحن لا نتوقف في شأنه بل في كفره وإيمانه لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه» [4] والملاحظ من هذا النص دعوى التواتر المعنوي على رضا يزيد بقتل الحسين عليه السلام واستبشاره وإهانته لأهل بيت رسول الله ﷺ ومقابل هذا التواتر المعنوي «التواتر

---

(١) . مروج الذهب / ٣ـ ٧٧.
(٢) . سير اعلام النبلاء / ٤ـ ٣٧.
(٣) . ا لبداية والنهاية ٨/ ٢٤٥.
(٤) .شذرات الذهب/ ١ـ ١٢٣.

يفيد اليقين» نجد الشيخ ابن تيمية ينكر كل ذلك بقوله: «فقد تبين أن القصة التي يذكرون فيها حمل رأس الحسين إلى يزيد ونكته إياه بالقضيب كذبوا فيها، وإن كان الحمل إلى ابن زياد وهو ثابت بالقصة فلم ينقل بإسناد معروف أن الرأس حمل إلى قدّام يزيد ولم أرَ في ذلك إلا إسناداً منقطعاً وقد عارضه من الروايات ما هو أثبت منه وأظهر، فقد نقلوا فيها أن يزيد لما بلغه مقتل الحسين أظهر التألم من ذلك وقال لعن الله أهل العراق لقد كنت أرضى من طاعتهم بدون هذا وقال في ابن زياد أمَا إنه لو كان بينه وبين الحسين رحم لما قتله، وأنه ظهر في داره النوح لمقتل الحسين وأنه لما قدم عليه أهله وتلاقى النساء تباكين وأنه خيّر ابنه علياً بين المقام عنده والسفر إلى المدينة فاختار السفر إلى المدينة فجهزه إلى المدينة جهازاً حسنا»[1].

وفي كلام له يناقض هذا الكلام يقول: «ما سبى المسلمون ولله الحمد هاشمية قط ولا استحلت أُمة محمد ﷺ سبي بني هاشم قط ولكن أهل الهوى وا لجهل يكذبون كثيراً» [2] ولا ندري إن كان لم تُسبَ هاشمية قط كما في هذا النص فكيف قدم عليه وتلاقى النساء وتباكين وخيّر ابنه علياً بين المقام والسفر وجهزه بأحسن جهاز كما في النص السابق فهل كانوا مسافرين إلى الشام أم حلوا ضيوفاً على يزيد بعد المعركة أم ماذا؟ وقد اعترف ابن تيمية أن عبد الملك بن مروان أرسل إلى الحجاج يقول له إياك وبني هاشم أن تتعرض لهم فقد رأيت بني حرب لما تعرضوا للحسين أصابهم ما أصابهم. ولا ندري هل ابن مروان أدرى بقتلة الحسين أو هذا الذي ينقل عنه ليدفع عن الحجاج تهمة قتل

(١) . رأس الحسين/ ٢٠٨.
(٢) . منهاج السنة/ ٤ـ ٥٥٨.

بني هاشم [1] ، وقد قال في غير موضع من كتابه إن يزيد لم يأمر بالقتل ولم يرضَ به، وقد نقلنا تواتر ذلك عند علماء المسلمين.

وإذا بحثنا عن الآثار الدنيوية للقتل بعد التفريق بين قتل العمد والخطأ وشبه العمد فنجد أن القرآن يذكر أثرين اثنين:

الأول: استحقاق القاتل القصاص ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[2]

الثاني: إن لولي المقتول سلطاناً مجعولاً من الله سبحانه ومحرم عليه أن يسرف في القتل ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [3].

وقد روي عن الإمام السجاد عليه السلام في تفسير الآية الأولى «ولكم يا أمة محمد في القصاص حياة لأن من همّ بالقتل يعرف إنه يقتص منه فيكف لذلك من القتل الذي كان حياة للذي همّ بقتله وحياة لهذا الجاني الذي أراد أن يقتل وحياة لغيرهما من الناس إذا علموا أن القصاص واجب لا يجسرون على القتل مخافة القصاص» [4] وهذا رد واضح على من يدعي أن هذه العقوبة قاسية ولا تلائم روح العصر وما إلى ذلك فإن حياة الأمة وأمنها ومحو جريمة القتل من الوجود مرتبط بوجود هذه العقوبة وإذا اختفت هذه العقوبة سُلب أمن الأمة وتفشى القتل فيها وأدى ذلك إلى الفوضى كما نرى في أيامنا هذه، ومن

(١) . منهاج السنة / ٤-٥٨٨.
(٢) . سورة البقرة/ آية ١٧٩.
(٣) . سورة الاسراء/ آية ٣٣.
(٤) . نور الثقلين/ ١- ١٥٩.

طـرق منـع الفوضى بإقامـة القصاص جعل حق ذلـك للإمام أو مـن ينـوب عنـه ومن ذلك قول السـيد الخوئـي قدس سره: «إن خـروج المختار وطلبه بثأر الحسـين عليه السلام وقتله لقتلة الحسـين عليه السلام لا شـك في أنه كان مرضياً عنـد الله وعند رسـوله والأئمـة الطاهرين عليهم السلام .... ويظهر مـن بعض الروايات أن هـذا كان بـإذن خاص من الإمام السـجاد عليه السلام»[1] وجعل حـق مطالبة إقامة القصـاص لولـي المقتول فهـو المفوض بتلـك المطالبة ولا يحق لهـذا الولي أن يقتـل غـير القاتـل ولا يقتل أكثر مـن واحد بواحـد أو يمثّل بالقاتـل لأن هذا مـن الإسـراف الذي حرمه الله وقد شـرح معنى الإسـراف بهذا إمامنا موسـى بـن جعفـر عليه السلام قائلاً: «نهى أن يقتل غير قاتله أو يمثّل بالقتل، فقيل: ما معنى أنه كان منصوراً؟ قال: وأي نصرة أعظم من أن يدفع القاتل إلى أولياء المقتول فيقتلـه ولا تبعـة تلزمه في دين ولا دنيـا» [2]، وقد طبقت هذا الآية في الروايات على طلب الإمام المهدي عجل الله فرجه لثأر الحسين عليه السلام باعتباره ولي الدم فهو «منصور» لأن الله سـيمكنه مـن أخـذ ثأر جـده عليه السلام. يقول الإمام الصـادق عليه السلام عن الآية: «ذلك قائم آل محمد عليهم السلام يخرج فيقتل بدم الحسـين عليه السلام فلو قتل أهل الارض لم يكـن مسـرفاً قولـه «فلا يسـرف في القتـل» اي لم يكن ليصنع شـيئاً يكون مسرفاً ثم قال عليه السلام يقتل والله ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها» [3].

وقـد يبـدو للوهلـة الأولى أن هنـاك تعارضاً بين هـذا الحديث وبين مسـألة واضحـة عنـد جميـع المسـلمين ألا وهـي «المسـؤولية الفرديـة عـن العمـل»، فمسـؤولية كل عمـل لفاعل ذلك العمـل لا تتعدى لغيره قريباً أو بعيداً سـواء

(١) . معجم رجال الحديث ١٩/ ١١٠.
(٢) . البرهان ٣/ ٥٢٨.
(٣) . كامل ا لزيارات ١٢٢.

أكان العمل صالحاً أو طالحاً كثيراً أو قليلاً، مما دعا بعض شيعة أهل البيت عليهم السلام ممن وصلهم هذا الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أن يسألوا الإمام الرضا عليه السلام عن هذا الحديث ويتساءلون عن معارضتهم لهذه البديهية الإسلامية بقولهم: «ما تقول في حديث روي عن الإمام الصادق عليه السلام «يقتل والله ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها» ؟، فقال عليه السلام: هو كذلك، فقيل: وقول الله عز وجل «ولا تزر وازرة وزر أخرى» ما معناه؟ فقال عليه السلام: صدق الله في جميع أقواله لكن ذراري قتلة الحسين عليه السلام يرضون بأفعال آبائهم ويفتخرون بها ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه» [1].

والإمام الرضا عليه السلام يشير إلى مسألة أشار إليها القرآن الكريم في مواضع متعددة، منها ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[2] فقد نسب إلى اليهود الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وآله أمرين، الأمر الأول قولهم: «الله فقير ونحن أغنياء» وقد قالوه عندما أمرهم بأن يقرضوا الله قرضاً حسناً فردوا بهذا الرد، والأمر الثاني الذي نُسب إليهم هو «قتلهم الأنبياء» ومعلوم أن اليهود الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقتلوا نبياً واحداً وهذه النسبة تشير إلى أنهم رضوا بأفعال أسلافهم.

وقد ذكر ذلك الفخر الرازي حين قال: «سنكتب على هؤلاء ما قالوا بأنفسهم ونكتب عليهم رضاهم بقتل آبائهم الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وعن الشعبي أن رجلاً ذكر عنده عثمان رضي الله عنه وحَسَّنَ قتله قال الشعبي: صرت شريكاً

(١) .عيون اخبار الرضا ١/ ٢٧٣.
(٢) . سورة آل عمران/ آية ١٨١.

في دمه ثم قرأ الشعبي﴿قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾[1]، فنسب لهولاء قتلهم وكان بينهما قريب من سبعمائة سنة» [2] فلا عجب من رفع شعار «يالثارات الحسين» بدعوى أن قتلة الحسين عليه السلام قد انقرضوا ولم يبق منهم أحد بل هم على حد تعبير أمير المؤمنين عليه السلام «أقوام في أصلاب الرجال وأرحام النساء سيرعف بهم الزمان»[3]، قاله لرجل كان يتمنى أن يكون أخوه قد شهد المعركة مع أمير المؤمنين عليه السلام فسأله أهوى أخيك معنا فقال نعم قال فقد شَهِدَنا ولقد شهد عسكرنا هذا أقوام، يتبين من هذا الخبر أن الاشتراك ليس في الذنب والمعصية فقط بل قد يكون اشتراكاً في الطاعة أيضاً ولذلك حث الإمام الرضا عليه السلام على ذلك بقوله «إن سرك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام فمتى ما ذكرته فقل (يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً)» [4] ويقيناً أن هذا الأجر الكبير يناله من هو صادق في قوله وفعله لا مجرد لقلقة لسان فقط.

(١) آل عمران: الآية ١٨٣.
(٢) مفاتيح الغيب ٩/ ٤٤٨.
(٣) في ظلال نهج البلاغة ١/ ١٣٨.
(٤) بحار الأنوار ٤٤/ ٢٨٧.

المقتل

لعل أحداً لا يستشكل بكل ما مر لكنه يعتبر ما جرى في كربلاء قطعة من التأريخ فلا تجب إعادتها وتكرارها ولا يجوز بناء شيءٍ عليها حالها حال ما جرى على الأقوام السابقة من قتل وظلم وعدوان وبالتالي لا داعي للبكاء والعويل والمواكب وغيرها.

وأول ما يمكن أن يقال إن هذا الذكر والتكرار والبقاء على المقتل هو سُنة من سُنن القرآن الكريم فقد خلّد القرآن من ضمن ما خلّد من قصص الأنبياء والأمم السابقة خلّد مسألة القتل وقد مر بنا في بحث سابق أن القرآن ذم اليهود بأمرين قولهم «الله فقير ونحن أغنياء» وقتلهم الأنبياء وفي آية أخرى يجعل «قتل الأنبياء» أحد أسباب ذلتهم ومسكنتهم وسبب آخر هو كفرهم بآيات الله فقال عز من قائل ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[1] فكان أمامهم طريقين للخلاص من هذه الذلة والمسكنة إما أن يعودوا إلى الله ويعقدوا حبلهم بحبله أو يعتمدون على هذا وذاك من الناس ويعيشون حالة التبعية للآخرين وسبب هذه الحالة إنهم كفروا بكل الادلة الواضحة والصريحة على صحة نبوة الأنبياء «ولم يكتفوا بالكفر بل امتدت أيديهم الأثيمة إلى دعاة الحق وهم أنبياء الله تعالى الذين أرسلهم الله لهدايتهم فقتلوهم بدون أدنى شبهة تحمل على الإساءة إليهم فضلاً عن قتلهم وقال سبحانه « بغير حق » مع أن قتل الأنبياء

(١) . آل عمران / آية ١١٢.

لا يكون بحق أبداً لإفادة أن قتلهم لهم كان بغير وجه معتبر في شريعتهم لأنها تحرمه» [1] وفي آية ثالثة يعدد القرآن جرائم ويذكر قتل الأنبياء ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [2] وفي هذه المرة ربط القرآن جريمة القتل بجريمة نقض المواثيق التي أخذت عليهم بتبيين ما نُزل إليهم من ذكر النبي ﷺ وصفته بحيث كانوا يعرفونه كما يعرفون أبنائهم على حد تعبير القرآن ونعلم من اقتران جريمة «قتل الأنبياء» بجرائم أخرى عِظَمَ تلك الجرائم وقد قرنت جريمة القتل بالقول «الله فقير ونحن أغنياء» مرة وبالكفر بآيات الله أخرى ونقض الميثاق ثالثة وفي آية غير هذه الآيات يقرن المولى سبحانه قتل الأنبياء وهي جريمة كبرى بقتل من يأمر بالقسط من الناس ومنها نعرف عِظَمَ وفداحة هذه الجريمة.

قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [3] وقد جاء عن رسول الله ﷺ في تفسير هذه الآية أن أبا عبيدة الجراح سأل النبي ﷺ «يا رسول الله أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة قال رجل قتل نبياً أو رجلاً أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأ الآية، ثم قال ﷺ يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل وسبعون رجلاً من عبّاد بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار

(١) . التفسير الوسيط ٢/ ٢٢٤.
(٢) . النساء/ آية ١٥٥.
(٣) . آل عمران/ آية ٢١ـ ٢٢.

من ذلك اليوم فهم الذين ذكر الله» [1] فإذا كانت البعضية التي نص عليها رسول الله ﷺ «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الاسباط» [2]، عند البعض لا تجعل جريمة قتل الحسين عليه السلام بمستوى قتل الأنبياء فيقيناً أن الحسين عليه السلام هو من «الذين يأمرون بالقسط من الناس» لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان أصلاً أصيلاً في دوافع ثورة الحسين كما أعلنها قائدها { إني لم أخرج بطراً ولا إشراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت أطلب الاصلاح في أمة جدي محمد أريد آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي و أبي علي بن ابي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق وهو أحكم الحاكمين } [3] فهو شهيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد جعل القرآن قتلهم في مصاف قتل الأنبياء عليهم السلام وإذا ضممنا إلى ذلك اهتمام الرسول الأكرم ﷺ بهذا الشهيد وشهادته وإقامة المآتم عليه والبكاء عليه وحث الصحابة على نصرته وتكرار ذلك مراراً كما سيمر علينا.

والقرآن. وهو معجزة الإسلام الخالدة الذي تعبّد الخلق بتلاوته. يذكر بعض المقاتل وشيئاً من تفاصيلها ورغم مضي الآلاف من السنين على تلك الحوادث وهذا ما يحتج به المحتجون «إن المقتل قطعة من التأريخ» فمنذ الفجر الأول للبشرية وعندما كانت الأسرة البشرية تتكون من أربعة أفراد فقط والدين وولدين، والابنان يقربان إلى الله سبحانه قرباناً فيتقبل الله من أحدهما دون الآخر فتصعد حالة الحسد عند الآخر فيتوعد أخاه بالقتل فيرد عليه أخوه

(١) . الدر المنثور ٢/ ٣٠٠.
(٢) . سنن الترمذي ٥/ ٣٢٥.
(٣) . مناقب آل ابي طالب ٣/ ٢٤٢.

بـرد يدل على ورعه وإيمانه ومعرفته ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۞ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِيـنَ ۞ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ۞ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۞ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَـوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَـزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَـوْأَةَ أَخِـي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[1] والقـاريء الكريـم يرى في هـذه القطعة مـن التأريخ المذكـورة في القرآن الذي نعتـبره مصـدراً لأخـذ العبرة منـه. فيها تفاصيـل كثيرة ويمكـن ترجمة هذه التفاصيل بالنقاط التالية:

١. قرّب كل من الأخوين قرباناً لله سبحانه.

٢. حظي أحد القربانين بالقبول الإلهي لإخلاص صاحبه.

٣. لم يحظ الأخ الآخر بقبول قربانه لعدم تقواه.

٤. أدى عدم قبول القربان إلى الحسد وتوعده بالقتل بدافع الحقد والحسد.

٥. الأخ المؤمن أوضح لأخيه أن العمل لا يقبل الا من الاتقياء.

٦. الأخ المؤمن لا يبادل أخاه الاعتداء خوفاً من رب العالمين.

٧. الأخ المؤمـن يذكـر أخـاه بأثر من آثار القتل وهو انتقـال ذنوب المقتول إلى القاتل والنار في الآخرة.

٨. ومع كل هذه النصائح أقدم الأخ العاصي على قتل أخيه فخسر الدنيا والآخرة.

---

(١) . سورة المائدة/ آية ٢٧- ٣١.

٩. احتار القاتل بكيفية دفن المقتول وتعلم من الغراب كيفية ذلك.

١٠. ندم القاتل.

وهل يستطيع مسلم أن يعترض على هذه التفاصيل، على حدث وقع قبل آلاف السنين أو لا يقرأه أو يقول أن قراءته لا تجرُ ثواباً أوعقاباً أو ـ أو ـ والقرآن الكريم يرتب على هذه القصة التي وقعت في فجر التأريخ الحكم الإلهي الذي مر ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [1] وإذا كان بطلا هذه القصة معلومين ومعروفين «القاتل والمقتول» وهما ابنا آدم عليه السلام وهما هابيل وقابيل لكن سورة البروج المباركة تتحدث في ذكر اصحاب الأخدود عن مقتل جماعة من المؤمنين بأيدي طغاة بغض النظر عن هوية القاتل والمقتول وتذكر التفاصيل التالية:

١. مكان الجريمة شق كبير في الارض.

٢. آلة التعذيب نار تملأ ذلك الشق.

٣. الطغاة على اطراف النار ينظرون إلى تعذيب المؤمنين ويسمعون صراخهم وآلامهم.

٤. لا ذنب لهم إلا كونهم مؤمنين.

٥. الله هو مالك السموات والأرض شاهد على هذه الجريمة.

٦. وعَيد للطغاة بجهنم إن لم يتداركوا أنفسهم بالتوبة.

---

(١) . سورة المائدة/ آية ٣٢.

٧. وعد للمؤمنين الثابتين العاملين با لجنان والفوز الكبير.

٨. إن بطش الله سبحانه فوق بطش جميع الطغاة فالطغاة لا يغلبون الله ولا يفوتونه، فمهما تفرعن الطغاة فلن يخرجوا من سلطة المولى سبحانه.

وفي سورة الشمس المباركة، الحديث لا عن قتل ولي الله ولا المؤمن بالله ولكن الحديث عن آية من آيات الله «ناقة الله» فبعد أن يقسم « يحلف » الله أقساماً متعددة ولعلها أكثر الاقسام المتتابعة في القرآن الكريم، إذ أن وجود القسم في سورة ما يدل على وجود شيء مهم يريد الله سبحانه إلفات النظر إلى أهميته، وإذا بحثنا عن هذا الشيء المهم بعد الأقسام المتكررة نجد آخر قَسَم بالنفس ومن عدّل خلقها وعرّفها طريق الخير والشر وعلى الإنسان أن يختار أحد هذين الطريقين فإما أن يطهر نفسه بالطاعة أو أن يخسر نفسه بانغماسه بالمعصية ويذكر بعد ذلك جريمة قتل «ناقة الله» وبتفاصيلها الكثيرة:

١. تكذيب قوم صا لح كان سببه الطغيان.

٢. ابتدر اشقى ثمود «قدار بن سالف» لعقر الناقة.

٣. وصية نبيهم بعدم عقر الناقة وأوصاهم بدور الناقة في السقي.

٤. كذبوا نبيهم وعقروا الناقة.

٥. أطبق العذاب على قوم صا لح بسبب فعل البعض ورضا الآخرين.

٦. بعد العذاب الإلهي لا يخاف الله سبحانه تبعة من مطالب بثأر.

فكل هذه التفاصيل التي وردت في هذه القصة أو قل هذا المقتل والمقتلين السابقين، يتأكد أن المقتل «ذكر مقتل المؤمنين ببعض تفاصيله» هو سنة من

سنن القرآن الكريم واتبع النبي ﷺ هذه السنة القرآنية وفي مواضع كثيرة ومروية عند المسلمين ونذكر نماذج لذلك، فعن خادم النبي ﷺ أنس بن مالك «إن مَلك المطر استأذن أن يأتي النبي ﷺ فأذن له فقال لأم سلمة «إملكي علينا الباب ولا يدخل علينا أحد» وجاء الحسين بن علي ليدخل فمنعته فوثب فدخل فجعل يقعد على ظهر النبي ﷺ وعلى منكبه وعلى عاتقه فقال المَلك للنبي ﷺ أتحبه؟ قال نعم، قال إن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل به فضرب بيده فجاء بطينة حمراء فأخذتها ام سلمة فصرّتها في خمارها» [1] وإذا كان الزائر هنا مَلك الامطار ففي رواية ثانية أن الزائر جبرائيل عليه السلام مما يدل على تعدد إخبار النبي ﷺ بذلك فعن نجي الحضرمي «أنه سار مع علي «رضي الله عنه» وكان صاحب مطهرته فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين نادى علي «إصبرْ أبا عبد الله إصبرْ أبا عبد الله بشط الفرات» فقلت وما ذاك قال دخلت على النبي ﷺ ذات يوم وإذا عيناه تذرفان قلت يا نبي الله أغظبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟ قال بل قام من عندي جبريل عليه السلام فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات، فقال هل لك أن أشمك من تربته قلت نعم فمد يده فقبض قبضةً من تراب فأعطانيها فلم أملك عينيي أن فاضتا» [2]

وإذا دلت هذه الاخبار أن أمير المؤمنين وأم المؤمنين أم سلمة وخادم النبي ﷺ أنس بن مالك قد اطلعوا على هذه المسألة ففي الرواية التالية أن النبي ﷺ قد أعلن ذلك على الملأ من أصحابه «خرج علينا رسول الله ﷺ متغير اللون

---

(١) . مسند احمد ٣/ ٢٤٢.
(٢) . مجمع الزوائد ٩/ ١٨٧.

فقال أنا محمد أوتيت فواتح الكلام وخواتمه فأطيعوني مادمت بين اظهركم فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله عز وجل أحلوا حلاله وحرموا حرامه أتتكم بالروح والراحة كتاب من الله سبق اتتكم فتن كقطع الليل المظلم كلما ذهب رسل جاء رسل تناسخت النبوة فصارت ملكاً رحم الله من اخذها بحقها وخرج منها كما دخلها إمسك يا معاذ واحص قال فلما بلغت خمسة قال يزيد لا يبارك الله في يزيد ثم ذرفت عيناه ﷺ قال نعي إليّ حسين وأتيت بتربة وأخبرت بقاتله والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهراني قوم لا يمنعوه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم وسلط عليهم اشرارهم وألبسهم شيعاً ثم قال واها لفراخ آل محمد ﷺ من خليفة مستخلف مترف يقتل خلفي وخلف الخلف» [1]

بل وحث ﷺ صحابته على نصرته ويروي هذا الأمر احد شهداء الطف وهو أنس بن الحارث رضي الله عنه يقول «سمعت رسول الله ﷺ يقول إن ابني هذا . يعني الحسين . يقتل بأرض يقال لها كربلاء فمن شهد ذلك منكم فلينصره» [2] ونموذج لا يشبه النماذج المتقدمة حديث يدل على الاهتمام الكبير للرسول الأكرم ﷺ بتلك الواقعة يقول ابن عباس «رأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم بنصف النهار وهو قائم اشعث أغبر بيده قارورة فيها دم فقلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا؟ قال هذا دم الحسين واصحابه لم ازل ألتقطه منذ اليوم فاحصينا ذلك اليوم فوجدوه قتل في ذلك اليوم» [3]، حديث آخر من هذا النموذج عن سلمى «دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت ما يبكيك قالت

---

(١) . المعجم الكبير ٣/ ١٢١.
(٢) . الاصابة ١/ ١٢١.
(٣) . مسند احمد ١/ ٢٨٣.

رأيت رسول الله ﷺ. تعني في المنام. وعلى رأسه ولحيته التراب فقلت مالكَ يا رسول الله؟ قال شهدت قتل الحسين آنفاً» [1]، والاخبار كثيرة جداً وليس من مهمتنا الآن نقلها جميعاً ويمكن تلخيص مضامين هذه الاخبار وغيرها وقد استقصاها شيخنا الاميني «رحمه الله» في كتابه «سيرتنا وسنتنا» نوجزها بما يلي:

١. إن ملك المطر وجبرائيل اخبرا -كل على انفراد- بمقتل الحسين عليه السلام اذن المسألة بهذه الاهمية.

٢. الإخبار بالقتل مع جلب «تربة» كربلاء بصورة اعجازية فتربة كربلاء من معاجز الرسول الأكرم ﷺ.

٣. احتفاظ أم سلمة بهذه التربة بخمارها وشم النبي ﷺ لها.

٤. إن أمير المؤمنين أخبر أصحابه بمقتل الحسين عند توجهه إلى صفين.

٥. بكاء النبي ﷺ على مقتل الحسين عليه السلام والتعبير بـ. فاضتا. يدل على غزارة الدموع.

٦. إن الحادثة تكررت فقد تم الاخبار بالمقتل يوم ولادته ويوم ارضاعه من قبل ام الفضل وبعد سنة من ولادته وفي بيوت عائشة وزينب بنت جحش اضافة إلى بيت ام سلمة.

٧. إخبار النبي ﷺ مجموعة من اصحابه بعد أن خرج متغير اللون و تسمية قاتله والدعاء عليه.

---

(١) . سنن الترمذي ٥/ ٣٢٣.

٨. الإخبار بما سيجري على الأمة بعد قتله عليه السلام من التمزيق وتسليط الأشرار.

٩. أمَر المسلمين بنصرة الحسين عليه السلام.

١٠. اهتمام النبي صلى الله عليه وآله بيوم عاشوراء حتى يُرى ـ أشعث أغبر ـ و ـ على رأسه ولحيته التراب ـ يلتقط دم الحسين واصحابه ويشهد مقتله ومقتلهم.

وعلى المسلمين «كل المسلمين» أن يلزموا سنة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فـ«هي المرجع الثاني والاخير في الشرع الإسلامي في كل نواحي الحياة من امور غيبية اعتقادية أو احكام عملية سياسية أو تربوية وإنه لا يجوز مخالفتها في شيء من ذلك لرأي أو اجتهاد أو قياس كما قال الإمام الشافعي رحمه الله في آخر رسالته «لا يحل القياس والخبر موجود» ومثله ما اشتهر عند المتأخرين من علماء الإصول «إذا ورد الأثر بطل النظر» و «لا اجتهاد في مورد النص» ومستندهم في ذلك الكتاب الكريم والسنة المطهرة» [١]

(١) . الحديث حجة بنفسه ١.

القاتل

قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (١)

هذه الآية الكريمة تتضمن اربع فقرات واضحات المعاني كل على حدة لكن عندما نربط ونوصل هذه الفقرات بعضها ببعض ينتج عدم الوضوح الكامل بسبب عدم وضوح مصداق الفقرة الثانية والثالثة فـ «إن ربك أحاط بالناس»تعني أن الله محيط بالناس فهو يعلم أحوالهم أو العباد في قبضته و «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس» تتحدث عن رؤيا رآها النبي ﷺ هي سبب فتنة الناس و «الشجرة الملعونة في القرآن» أن هذه الشجرة في القرآن هي كذلك سبب فتنة للناس و «نخوفهم فما يزيدهم الا طغياناً كبيراً » فعندما يكون قلب الإنسان غير مستعد لقبول الحق والتسليم له فأن الكلام بل الآيات والمعجزات والانذار والتخويف لا يؤثر فيه واكثر من ذلك يؤثر تأثيراً عكسياً «وهي زيادة الطغيان» فترى عزيزي القاريء إن الفقرتين الأولى والرابعة تتحدثان عن إحاطة الله سبحانه بالناس علماً أو قدرة وإن بعض الناس لا يزيدهم الإنذار الإلهي إلا طغياناً وقد وصفته الآية بإنه «كبيراً» بقى الكلام عن الفقرتين الثانية والثالثة أي عن الرؤيا والشجرة الملعونة في القرآن وأول ما يطالعنا في معنى «الرؤيا» هو الشيء الذي يراه النائم غير ما يراه المستيقظ، فيسمى الرؤية، فإذن هنا رؤيا منام رآها رسول الله ﷺ هي فتنة للناس وإذا بحثنا في القرآن عن رؤيا للرسول الأكرم ﷺ لا نجد الا رؤيتين لكن هاتين الرؤيتين ليس فيهما فتنة بل لا تخلوان من تبشير للمؤمنين:

---

(١) . سورة الاسراء / آية ٦٠.

الأولى: . قوله تعالى ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١) فيقول الآلوسي في تفسيره لهذه الآية « وا لجمهور على أنه ﷺ اري ما أري في النوم وهو الظاهر المتبادر، وحكمة إراءتهم إياه ﷺ قليلين أن يخبر اصحابه رضي الله تعالى عنهم فيكون ذلك تثبيتاً لهم» (٢)وليكن هذا الظاهر المتبادر عندك حين نستعرض آراء المفسرين بالرؤيا في آية الشجرة الملعونة فإن هذا الظاهر سيكون غير ظاهر وليكن القاريء على علم أن هذا الحدث قبل غزوة بدر سنة ٢هـ وليس فيه فتنة بل هو بشارة.

الثانية: . قوله تعالى ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (٣)، يقول الزحيلي في الآية «رؤيا الأنبياء حق وجزء من الوحي ولقد رأى النبي ﷺ في منامه عند خروجه إلى العمرة أنه يطوف بالبيت الحرام هو وأصحابه بعضهم محلقون وبعضهم مقصرون وقال مجاهد أري ذلك بالحديبية فأخبر بهذه الرؤيا ووثق ا لجميع بأن ذلك يكون في وجهتهم تلك «أي عام الحديبية» ولكن سبق في علم الله إن ذلك ليس في تلك الوجهة وإنما في عام مقبل» (٤)، وكما ترى إن الرؤيا هنا هي ما يجري في المنام وحدثت في الحديبية وقد جرت سنة ٦ هـ وهي رؤيا بالفتح والنصر وليس فيها شيء من الفتنة بل هي البشارة أقرب إن لم تكن هي عين البشارة ومع ذلك يصر كثير من المفسرين. إن لم نقل كلهم. على أن الرؤيا هنا ليست بمعنى ما يراه النائم بل بمعنى مايراه الإنسان أعم من النوم واليقظة حتى تنطبق على ما رآه النبي ﷺ ليلة الاسراء والمعراج أما لماذا «تحولت الرؤيا المنامية في

---

(١) .سورة الأنفال / آية ٤٣.
(٢) . روح المعاني ٥/ ٢٠٧.
(٣) . سورة الفتح/ آية ٢٧.
(٤) . تفسير الوسيط ٣.

هـذه الآية إلى الرؤية في اليقظة فالتعليل عند هؤلاء المفسـرين هو «والتعبير عن ذلك بالرؤيا إما لأنه لا فرق بينها وبين الرؤية أو لأنها وقعت ليلاً أو لأن الكفرة قالوا لعلها رؤيا» [١]

ولقـد نقلنـا قبـل قليـل عن الآلوسـي أن الرؤيـا ظاهـرة فيما يراهـا النائم امـا عند ابي السـعود فلا فرق بينها وبـين الرؤية واختلف ابن عاشـور معهما، يعني أن هناك رأي ثالث «الرؤيا اشـهر اسـتعمالها في الرؤيا وتستعمل في رؤية العـين» [٢] وثانـي العلـل أن الرؤية سميت رؤية لأنها وقعـت في الليل ولم نجد احـد اللغويين قال ذلك وثالث العلل المشـاكلة فبما أن الكفـرة يعتبرونها رؤيا فسـماها الله سـبحانه رؤيا رغم أن الحديث مع رسـول الله ﷺ «وإذ قلنا لك» لا مع المشركين.

وعندمـا تصـل نوبة التفسـير عند هؤلاء الأعـلام إلى «الشـجرة الملعونة في القرآن » وهي معطوفة على الرؤيا وهذا العطف يقتضي أن تكون هذه الشجرة فتنة للناس نجدهم يقولون « شجرة الزقوم المذكورة في قوله تعالى ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۞ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ۞ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۞ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [٣] والمراد بلعنها «لعن الآكلين منها وهـم المشـركون أو هي ملعونة لأنها تخرج في أصل الجحيـم أو هي ملعونة لأن طعامهامؤذ وضار والعرب تقول لكل طعام ضار إنه ملعون»[٤]

ويلاحـظ علـى هـذا أن المصير إلى المجـاز «مجاز في الاسـناد» إذا تعذر حمل الكلمة على الحقيقة أولاً وتحتاج إلى قرينة تصرف أن المراد هو المعنى المجازي وكلا الامريـن لا يوجـدان هنـا والحقيقـة في «الملعونة» هي أنهـا عملت عملاً

---

(١) . ارشاد العقل السليم ٤/ ٢٠٨.
(٢) . التحرير والتنوير ٨/ ٢٦١.
(٣) . سورة الصافات/ آية ٦٢ - ٦٥.
(٤) . الوسيط ١/ ٢٦٤٩.

تستحق معه الإبعاد عن رحمة الله فلا أقل أنها مكلفة بأوامر وهي غير مطيعة لتلك الأوامر ولذلك استحقت اللعن أما شجرة الزقوم التي ذكرت في الآية السابقة وفي آية أخرى ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۝ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۝ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ [1] فهي وسيلة من وسائل تعذيب الظالمين الاثمين ولم نعهد في القرآن الكريم أي لعن لوسائل التعذيب الواردة في القرآن بل هناك مدح لبعض تلك الوسائل والوسائط كقوله تعالى﴿مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [2]، وتناسى كثير من هؤلاء الأعلام ما ورد في تفسير هذه الآيات في احاديث الصحابة لرسول الله، فـ«سهل بن سعد. رضي الله عنه. قال رأى رسول الله ﷺ بني فلان ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك فما استجمع ضاحكاً حتى مات وأنزل الله ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾، وأخرج ابن ابي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال رأيت ولد الحكم بن ابي العاص على المنابر كأنهم القردة وانزل في ذلك «الآية» يعني الحكم وولده، واخرج ابن ابي حاتم عن يعلي بن مرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ أُريت بني أمية على منابر الارض وسيملكونكم فتجدونهم أرباب سوء، واهتم رسول الله ﷺ لذلك أنزل الله «الآية»، وأخرج ابن مردويه عن الحسين بن علي رضي الله عنه أن رسول الله اصبح وهو مهموم فقيل مالك يا رسول الله؟ فقال أني رأيت في المنام كأن بني أمية يتعاورون منبري هذا، فقيل يا رسول الله لاتهتم فإنها دنيا تنالهم فأنزل الله«الآية» وأخرج ابن ابي حاتم وابن مردوية والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال رأى رسول الله ﷺ بني أمية على المنابر فساءه ذلك فأوحى الله اليه «إنما هي دنيا اعطوها» فقرت عينه وهي قوله «الآية» يعني بلاء للناس، وأخرج ابن مردوية عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لمروان بن الحكم: سمعت رسول الله ﷺ يقول

---

(١) . سورة الدخان/ آية ٤٣ـ ٤٦.

(٢) . سورة التحريم/ آية ٦.

لأبيك وجدك: إنكم الشجرة الملعونة في القرآن » [1]

فبعض أولئك الأعلام لم يلتفتوا إلى هذه الروايات اصلاً والبعض الآخر مثل الشنقيطي «إن قولة من قال أن الرؤيا التي أراه الله اياها هي رؤياه في المنام بني أمية على منبره وإن المراد بالشجرة الملعونة في القرآن بنو أمية لا يعول عليه إذ لا أساس له من الصحة والحديث الوارد بذلك ضعيف لا تقوم به حجة» [2]

وعن ابن عاشور قال: «ولا أخالها الا مما وضعه الوضاعون في زمن الدعوة العباسية لإكثار المنفرات من بن أمية» [3] وأما دروزة فيرمي كرة هذه الروايات في ملعب الشيعة فيقول: «إن الرواية من مصنوعات الشيعة وفي تفسير الطبرسي الشيعي رواية عن الإمامين أبي جعفر وأبي عبد الله أن الشجرة الملعونة في القرآن هي بني أمية والهوى الحزبي والتعسف بارزان على هذه الروايات شأن كثير مما يرويه مفسرو الشيعة» [4]، ولم يبق من الإشكالات إلا أن يقال: «لأن هذه الآية مكية وما كان لرسول الله ﷺ بمكة منبر ويمكن أن يجاب عنه بأنه لا يبعد أن يرى بمكة أن له بالمدينة منبراً يتداوله بني أمية» [5]، فلا ندري من وضع هذه الاحاديث هل هم الوضاعون في زمن الدعوة العباسية أو هم الشيعة وكيف تسرب من هؤلاء لكتب أهل السنة وهم غير متهمين ببغض هذه الشجرة ويدعوهم هذا البغض الى الكذب وخاصة إن سياق الآيات يساعد على هذا المعنى فالآيات السابقة للآية واللاحقة لها كانت تصف الناس أن آخرهم كأولهم وذيلهم كصدرهم في عدم الاعتناء بآيات الله وتكذيبها وأن المجتمعات الإنسانية ذائقون عذاب الله قرية بعد قرية وجيلاً بعد جيل باهلاك

(١) . الدر المنثور ٦/ ٢٩٥.
(٢) . اضواء البيان ٣/ ٢٣٦.
(٣) . التحرير والتنوير٨/ ٢٦٢.
(٤) . التفسير الحديث٣/ ٤٠٥.
(٥) . اللباب ١٠/ ٣٣٤.

أو بعذاب مخوف ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۞ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾[1]، والآيات اللاحقة تتحدث عن قصة ابليس وعجيب تسلطه على أفراد بني آدم «وبذلك يظهر أن الرؤيا والشجرة المشار اليهما في الآية أمران سيظهران على الناس أو هما ظاهران يفتتن الناس فيشيع بهما فيهم الفساد ويتعرق فيهم الطغيان والاستكبار»[2]، ومما يعضد ذلك إن تعبير «الشجرة الملعونة في القرآن» يشير إلى وجود هذا اللعن في القرآن الكريم ونجد عناوين كثيرة قد شملها اللعن مثل إبليس، اليهود والمشركين والمنافقين وو و... والمتصف بهذا اللعن ليس واحداً بل مجموعة نعرف ذلك من كلمة الشجرة فهذه الكلمة كما تطلق على النبات كذلك تطلق على الأصل الذي تطلع منه وتنشأ عليه فروع وهذه الفروع إما نَسبية أو فروع من أصل اعتقادي وكمثال لذلك يقول الرسول الأكرم ﷺ « يا علي الناس من شجر شتى وأنا وأنت من شجرة واحدة »[3]

ويقول ﷺ: «إن عم الرجل صنو أبيه» وأصله أن تطلع نخلتان من عرق واحد يريد أن أصل العباس وأصل أبي واحد»[4]، وينتج من ذلك أن الشجرة الملعونة قوم من هولاء الملعونين في القرآن لهم صفة الشجرة في النشوء والنمو والتفرع على اصل نسبي أو عقائدي هم سبب لفتنة الأمة ولا يصلح لذلك الا احدى الطوائف الثلاثة وهم «أهل الكتاب والمشركون والمنافقون» ولم يظهر من الطائفتين الأوليتين من هم بهذه الصفة قبل الهجرة وبعدها

---

(١) سورة الاسراء/ آية ٥٨ـ ٥٩.
(٢) . الميزان ١٣/ ١٣٨.
(٣) . المستدرك ٢/ ٢٤١.
(٤) . بحار الأنوار ٢٢/ ٢٨٥.

وقد أمن الله الناس من شرهم في يوم الغدير ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ [1]، فلم يبق إلا الطائفة الثالثة وهم «المنافقون» ولا توجد صفة «الشجرة» الا في بني أمية وقد اعترف ابن تيمية «واعظم ما نقمه الناس على بني أمية شيئان احدهما تكلمهم في علي والثاني تأخير الصلاة عن وقتها» [2]، واعترف في مكان أخر «بنو أمية بعدهم مع انحراف كثير منهم عن علي وسب بعضهم له غلبوا على مدائن الإسلام كلها من مشرق الارض إلى مغربها» [3]والانحراف عن علي عليه السلام وسبه وتكلمهم من الادلة الواضحة على نفاق المنافقين فهم الفتنة التي حذر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله منها الأمة بل هي اخوف الفتن على حد تعبير أمير المؤمنين عليه السلام فقد قال عليه السلام: «إن الفتن إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت نبهت، يُنكرن مقبلات يُعرفن مدبرات، يحمن حوم الرياح يُصبن بلداً ويخطئن بلداً، إلا وإن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية فإنها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها وخصت بليتها واصاب البلاء من أبصر فيها، واخطأ البلاء من عمي عنها، وأيم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوء بعدي كالناب الضروس» [4] واشار عليه السلام إلى ظلمهم وانتشاره ووصوله إلى كل بيت «والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرماً الا استحلوه ولا عقداً الا حلوه وحتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم وحتى يقوم الباكيان يبكيان باك يبكي لدينه وباك يبكي لدنياه» [5]، وحددت في بعض رواياتنا مدة ملكهم والتعويض الإلهي للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام إزاء هذه الفتنة، فعن ابي عبد الله عليه السلام قال أُري رسول الله صلى الله عليه وآله بني أمية يصعدون على منبره من بعده ويضلون الناس عن

(١) . سورة المائدة/ آية ٣.
(٢) . منهاج السنة ٨/ ٢٣٩.
(٣) . منهاج السنة ٨/ ٢٣٩.
(٤) . نهج البلاغة ١/ ١٨٣.
(٥) . نهج البلاغة ١/ ١٨٣.

الصراط القهقري، فاصبح حزيناً فهبط إليه جبرائيل فقال: يا رسول الله مالي أراك كئيباً؟ قال: يا جبرائيل رأيت بني أمية في ليلتي هذه يصعدون منبري من بعدي ويضلون الناس عن الصراط القهقري، قال: والذي بعثك بالحق نبياً إني ما اطلعت عليه وعرج إلى السماء فلم يلبث أن نزل عليه بآي من القرآن يؤنسه بها ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ۞ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ۞ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾، وأنزل عليه ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۞ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، جعل الله ليلة القدر لنبيه ﷺ خير من ألف شهر ملك بني أمية» [1]، وقد ذُكر هذا المعنى في بعض كتب المسلمين «وأخرج الخطيب عن ابن المسيب قال قال رسول الله ﷺ «أُريتُ بني أمية يصعدون منبري فشق ذلك علي فأنزل الله﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وأخرج الترمذي وضعفه وابن جرير والطبراني وابن مردوية والبيهقي في الدلائل عن يوسف ابن مازن الرؤاسي قال: قام رجل إلى الحسن بن علي بعدما بايع معاوية فقال: سودّت وجوه المؤمنين فقال لا تؤنبني رحمك الله فإن النبي ﷺ رأى بني أمية يخطبون على منبره فساءه ذلك فنزلت ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ يا محمداً يعني نهراً في الجنة ونزلت ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۞ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يملكها بعدك بني أمية يا محمد، قال القاسم: فعددنا فإذا هي الف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً »[2]

وهذا قد يكشف لنا معنى ومصداق ما رواه مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه «قلت: يا رسول الله إنا كنا بِشرٍّ فجاء الله بخير فنحن فيه فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: نعم، قلت: هل وراء ذلك الشر خير؟ قال: نعم، قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال: نعم، قلت: كيف؟ قال: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي

(١) . امالي الطوسي ٢/ ٢٧٩.
(٢) . الدر المنثور ٦/ ٣٧١.

ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس»، قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع» [1] وهذا الحديث يكشف أن هؤلاء الأئمة الذين لا يهتدون بهدي النبي ﷺ ولا يستنون بسنته ليسوا بعيدي العهد حتى ينطبق ذلك على حكّام المسلمين بعد عشرات أو مئات السنين لأن الرسول الأكرم ﷺ عبر عنهم بـ «بعدي» أولاً، وثانياً أجاب عن سؤال حذيفة كيف أصنع إن أدركت ذلك؟ وحذيفة على كل حال لم يكن متوقعاً أن يعيش مئات السنين بعد الرسول ﷺ ومثله ما قاله ابن تيمية «كان ابن مسعود يتأول في بعض الأمراء الذين كانوا على عهده أنهم من الخلف الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾. فكان يقول: كيف بكم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير إذا ترك فيها شيء قيل تركت السنة؟ فقيل: متى ذلك يا ابا عبد الرحمن؟ فقال: ذلك إذا ذهب علماؤكم وقلّت فقهاؤكم والتمست الدنيا بعمل الآخرة وتفقه لغير الدين، وكان عبد الله بن مسعود يقول أيضاً: أنا من غير الدجال أخوَف عليكم من الدجال، أمور تكون من كبرائكم» [2] وهذا الذي ذكره كقول لابن مسعود هو في مصادر أخرى حديث نبوي وكم من فرق بين قول صحابي وبين قول النبي ﷺ الذي هو وحي يوحى «عن علي قال: كنا عند النبي ﷺ جلوساً وهو نائم فذكرنا الدجال فاستيقظ فقال: غيرُ الدجال أخوف عليكم عندي من الدجال، أئمة مضلون» [3]

فإذا جمعنا كل هذه الحقائق خرجنا بهذه النتيجة أن هناك أئمة مضلّين لا يهتدون بهدي النبي ﷺ ولا يستنون بسنته ليسو بعيدي العهد قد كان النبي ﷺ يتخوف منهم على صحابته «أخوف عليكم» أكثر من الدجال

(١) . صحيح مسلم ٦/ ٢٠.
(٢) . القواعد النوانية ٦٩.
(٣) . مسند احمد ١/ ٩٨.

وهم الخلف الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ولنا حق أن نتساءل من هؤلاء؟ إن لم يكن بنو أمية منهم فمن هم؟ ولننقل كلمة سيد الشهداء عليه السلام في ذلك فقد نُقِل أنهُ عليه السلام «خطب أصحابه وأصحاب الحُر بالبيضة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحق ممّن غيّر» [1] وقد سأله النضر بن مالك قائلاً: «يا أبا عبد الله حدثني عن قول الله عز وجل ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ قال: نحن وبنو أمية اختصمنا في الله عز وجل قلنا صدق الله وقالوا كذب الله فنحن وإياهم الخصمان يوم القيامة» [2]

وهذا لا يعني أن الآية نزلت في الفريقين بل هي تشمل كل طائفتين تخاصمتا في الله فهي من الجَرْي والانطباق وليس بياناً لسبب النزول، ومثل ذلك ما جاء في «الأمثل»: «ورد في بعض الكتب المعروفة كالإرشاد للشيخ المفيد وروضة الكافي وكمال الدين للشيخ الصدوق وتفسير القمي أن الإمام الصادق عليه السلام قال في تفسير الآية ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ قال: تخضع رقابهم -يعني بني أمية- وهي الصيحة في السماء باسم صاحب الأمر «صلوات الله عليه» وواضح أن المراد من هذه الروايات هو بيان مصداق من هذا المفهوم الواسع للآية إذ ستخضع أخيراً جميع الحكومات الباغية والمتجبرة والظالمة التي تواصل السير على منهج حكومة بني أمية وذلك عندما يظهر المصلح المهدي عجل الله فرجه إمام الحكومة العالمية فتستسلم إذعاناً لقدرته وحماية الله له وتنحني له إجلالاً» [3]

---

(١) . تاريخ الطبري ٣/ ٣٠٧.
(٢) . بحار الأنوار ٤٤/ ٣٨٢.
(٣) . الامثل ١١/ ٣٤١.

المصادر

القرآن الكريم

١. وسائل الشيعة/ الحر العاملي.
٢. البرهان/ السيد هاشم البحراني.
٣. لواعج الاشجان/ محسن الامين.
٤. نهضة الحسين/ هبة الدين الشهرستاني.
٥. المزار/ الشهيد الأول.
٦. ميزان الاعتدال/ الذهبي.
٧. منهاج السنة/ ابن تيمية.
٨. المعجم الصغير/ الطبراني.
٩. الفتاوى المصرية/ ابن تيمية.
١٠. فيض الغدير/ المنادي.
١١. فتح الباري/ ابن حجر العسقلاني.
١٢. روح المعاني/ الالوسي.
١٣. رأس الحسين/ ابن تيمية.
١٤. مروج الذهب/ المسعودي.
١٥. سير اعلام النبلاء/ الذهبي.
١٦. البداية والنهاية/ ابن كثير.
١٧. شذرات الذهب/ ابن العماد.
١٨. نور الثقلين/ الحويزي.
١٩. معجم رجال الحديث/ السيد الخوئي.
٢٠. كامل الزيارات/ ابن قولويه.
٢١. عيون اخبار الرضا/ الصدوق.
٢٢. مفاتيح الغيب/ الرازي.
٢٣. في ظلال نهج البلاغة/ محمد جواد مغنية.

٢٤. بحار الأنوار/ المجلسي.
٢٥. الوسيط/ الطنطاوي.
٢٦. الدر المنثور/ السيوطي.
٢٧. سنن الترمذي.
٢٨. مناقب آل ابي طالب/ ابن شهر اشوب.
٢٩. مسند أحمد.
٣٠. مجمع الزوائد/ الهيتمي.
٣١. المعجم الكبير/ الطبراني.
٣٢. الاصابة/ ابن حجر العسقلاني.
٣٣. الحديث حجة بينة/ الألباني.
٣٤. ارشاد العقل السليم.
٣٥. التحرير والتدبر/ ابن عاشور.
٣٦. أضواء البيان/ الشنقيطي.
٣٧. التفسير الحديث/ محمد عزت دروزة.
٣٨. اللباب/ ابن عادل.
٣٩. الميزان/ الطباطبائي.
٤٠. المستدرك/ الحاكم.
٤١. نهج البلاغة.
٤٢. أمالي الطوسي.
٤٣. صحيح مسلم.
٤٤. القواعد التوازنية/ ابن تيمية.
٤٥. تاريخ الطبري.
٤٦. الامثل/ ناصر مكارم الشيرازي.

الفهرس

المقدمة ٣
القتل ٥
المقتل ١٨
القاتل ٢٨
المصادر ٣٨

قال الإمام الحسن عليه السلام:
«لا يوم كيومك يا أبا عبد الله»

عاشوراء يوم لا كالأيام فلا يشبهه يوم من أيام الدنيا يوم تمثلت رسالات الله بالحسين عليه السلام وأعداؤها بأعدائه يوم التقى فيه الإسلام مع الجاهلية بحرب ضروس.

وهذه قراءة في نصوص القرآن والسنة لنثبت أن عاشوراء ومفرداتها وشعائرها لا تفارق القرآن والسنة بعد أن ثبت أن الحسين عليه السلام هو بطل عاشوراء-مع القرآن- لا يفترقا، وهو من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والرسول منه عليه السلام.

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
راسلونا fikriya@aljawadain.org
الشؤون الفكرية والثقافية
زورونا www.aljawadain.org